

470626 - هل صح أن إبراهيم عليه السلام كان يزور هاجر كل يوم من الشام على البراق؟

السؤال

أورد ابن القيم في كتاب "الداء والدواء" أثرا عن سعد بن إبراهيم، عن عامر بن سعد، عن أبيه: "أن خليل الله إبراهيم عليه السلام كان يزور السيدة هاجر في كل يوم من الشام على البراق من شغفه بها، - قوله صبره عنها - فما صحة هذا الأثر؟

الإجابة المفصلة

قال ابن القيم رحمه الله تعالى:

"وذكر سعد بن إبراهيم، عن عامر بن سعد، عن أبيه قال: كان إبراهيم خليل الله صلى الله عليه وسلم يزور هاجر في كل يوم من الشام على البراق من شغفه بها وقلة صبره عنها" انتهى. "الداء والدواء" (1/530).

هذا الخبر رواه الخرائطي في "اعتلال القلوب" (2/357)، قال: حَدَّثَنَا الْمَاجِدُ بْنُ صَالِحٍ، عَنْ عَامِرِ بْنِ سَعْدٍ، عَنْ أَبِيهِ، قَالَ: "كَانَتْ سَارَةُ تَحْتَ إِبْرَاهِيمَ عَلَيْهِ السَّلَامُ خَلِيلُ اللَّهِ، فَمَكَثَتْ مَعَهُ دَهْرًا لَا تُرَدِّقُ مِنْهُ وَلَدًا، فَلَمَّا رَأَتْ ذَلِكَ وَهَبَّتْ لَهُ هَاجِرُ، أُمَّةً لَهَا قِبْطِيَّةً، فَوَلَدَتْ لِإِبْرَاهِيمَ صَلَوَاتُ اللَّهِ عَلَيْهِ إِسْمَاعِيلَ، فَعَارَثَ مِنْ ذَلِكَ سَارَةُ وَوَجَدَتْ فِي نُفُسِهَا، وَعَتَبَتْ عَلَى هَاجِرَ، فَحَلَّفَتْ أَنْ تَقْطَعَ مِنْهَا ثَلَاثَةَ أَشْرَافٍ، فَقَالَ لَهَا إِبْرَاهِيمُ صَلَوَاتُ اللَّهِ عَلَيْهِ: "هَلْ لَكَ أَنْ تَبَرِّي يَمِينَكِ؟ قَالَتْ: كَيْفَ أَصْنِعُ؟ قَالَ: أَبْقِي أَذْنِينَهَا وَاحْفِظِيهَا. وَالْحَفْظُ هُوَ الْخِتَانُ، فَفَعَلَتْ ذَلِكَ بِهَا، فَوَضَعَتْ هَاجِرُ فِي أَذْنِينَهَا قُرْطَنِينَ فَأَرْدَادَتْ بِهِمَا حُسْنَهَا، فَقَالَتْ سَارَةُ: أَرَانِي إِنَّمَا زَدْتُهَا جَمَالًا، فَلَمْ تُقَارِهِ عَلَى كَوْنِهَا مَعَهُ، وَوَجَدَ بِهَا إِبْرَاهِيمُ وَجَدًا شَدِيدًا، فَنَقَلَهَا إِلَى مَكَّةَ، فَكَانَ يَرْوُزُهَا فِي كُلِّ يَوْمٍ مِنَ الشَّامِ عَلَى الْبَرَاقِ مِنْ شَغْفِهِ بِهَا، وَقِلَّةُ صَبْرِهِ عَنْهَا".

وهذا إسناد ضعيف جدا؛ لأن في إسناده الواقدي، وهو واهي الحديث.

قال النووي رحمه الله تعالى:

"الواقدي رحمه الله ضعيف عند أهل الحديث وغيرهم لا يحتاج برواياته المتصلة" انتهى من "المجموع" (1/114).

وقال الذهبي رحمه الله تعالى:

"جمع فأوعى وخلط الغث بالسمين ، والخرز بالدر الثمين؛ فاً طرحوه لذلك. ومع هذا فلا يستغني عنه في المغازى ، وأيام الصحابة وأخبارهم..."

وقد تقرر أن الواقدي ضعيف ، يحتاج إليه في الغزوات ، والتاريخ ، ونور آثاره من غير احتجاج...

لا عبرة بتوثيق من وثقه؛ إذ قد انعقد الإجماع اليوم على أنه ليس بحجة، وأن حديثه في عداد الواهبي رحمه الله "انتهى من "سير اعلام النبلاء" (9/454 - 469).

وقد أشار الحافظ ابن حجر إلى أن هذا الخبر قد جاء بأسانيد أخرى، حيث قال رحمه الله تعالى:

"ففي حديث أبي جهم كان إبراهيم يزور هاجر كل شهر على البراق، يغدو غدوة فيأتي مكة، ثم يرجع فيقيل في منزله بالشام. وروى الفاكهي من حديث علي بإسناد حسن نحوه: وأن إبراهيم كان يزور إسماعيل وأمه على البراق" انتهى من "فتح الباري" (6 / 404).

وحدث أبي الجهم بن حذيفة، قد رواه الفاكهي في "أخبار مكة" (5 / 120 - 121)، لكنه أيضاً من طريق الواقدي.

وأما خبر علي الذي حسن إسناده، فلم نقف في "أخبار مكة" للفاكهي على خبر عن علي بهذا المعنى.

وروى الطبراني في "التاريخ" (1/273)، قال: حدثنا ابن حميد، قال: حدثنا سلمة، عن محمد بن إسحاق، قال: "كان إبراهيم فيما يقال إذا زارها- يعني هاجر- حمل على البراق يغدو من الشام، فيقيل بمكة، ويروح من مكة، فيبيت عند أهله بالشام" انتهى.

وهذا الخبر لا حجة فيه، فهو من كلام ابن إسحاق، ولا يعلم عنمن أخذه.

وورد أن إبراهيم كان يزور إسماعيل عليهما السلام على البراق، من حديث أبي هريرة موقوفاً عليه.

كما في "مشيخة ابن طهمان" (ص 61): عَنْ عَبَادِ بْنِ إِسْحَاقَ، عَنْ مُحَمَّدِ بْنِ عَبْدِ اللَّهِ، عَنْ مُحَمَّدِ بْنِ مُسْلِمِ الرَّهْبَرِيِّ، عَنْ أَبْنِ الْمُسَيِّبِ، عَنْ أَبِي هَرِيْرَةَ، قَالَ: (كَانَ إِبْرَاهِيمُ خَلِيلُ اللَّهِ يَزُورُ ابْنَهُ إِسْمَاعِيلَ عَلَى الْبَرَاقِ، وَهِيَ دَابَّةُ جِبْرِيلَ، تَضَعُ حَافِرَهَا حَيْثُ يَتَهَيِّئُ طَرْفُهَا، وَهِيَ الدَّابَّةُ الَّتِي رَكَبَ رَسُولُ اللَّهِ لَيْلَةَ أُسْرِيِّ بِهِ).

وقول الصحابي مما يتعلق بأمور الغيب، إنما يحتاج به ويكون في حكم المرفوع إلى النبي صلى الله عليه وسلم؛ إذا كان هذا الصحابي لا يأخذ عن أهل الكتاب من يهود ونصارى أخبارهم.

قال الشيخ محمد الأمين الشنقيطي رحمه الله تعالى:

"حاصل تحرير هذه المسألة: أن قول الصحابي الموقوف عليه له حالتان:

الأولى: أن يكون مما لا مجال للرأي فيه.

الثانية: أن يكون مما له فيه مجال.

فإن كان مما لا مجال للرأي فيه: فهو في حكم المرفوع كما تقرر في علم الحديث، فيقدم على القياس، ويخص به النص، إن لم يعرف الصحابي بالأخذ من الإسرائيليات" انتهى من "مذكرة أصول الفقه" (ص 256).

وأبو هريرة رضي الله عنه ممن عرف عنه التحديث بأخبار أهل الكتاب التي سمعها من كعب الأحبار؛ لأن النبي صلى الله عليه وسلم رخص في التحديث عن أهل الكتاب لكن من غير تصديق لهم ولا تكذيب إلا بدليل.

عن أبي هريرة رضي الله عنه قال : (كَانَ أَهْلُ الْكِتَابِ يَقْرَءُونَ التَّوْرَاةَ بِالْعِبْرَانِيَّةِ، وَيُفَسِّرُونَهَا بِالْعَرَبِيَّةِ لِأَهْلِ الْإِسْلَامِ، فَقَالَ رَسُولُ اللَّهِ صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ: لَا تُصَدِّقُوا أَهْلَ الْكِتَابِ وَلَا تُكَذِّبُوهُمْ، وَقُولُوا: (آمَنَّا بِاللَّهِ وَمَا أَنْزَلَ إِلَيْنَا) الآية) رواه البخاري (4485).

قال شيخ الإسلام ابن تيمية رحمه الله تعالى:

" ... ما يحكونه من أقاويل أهل الكتاب التي أباها رسول الله صلى الله عليه وسلم حيث قال: (بَلَّغُوا عَنِي وَلَوْ آتَيْهِ، وَحَدَّثُوا عَنِي إِسْرَائِيلَ وَلَا حَرَجَ، وَمَنْ كَذَّبَ عَلَيْهِ مُتَعَمِّدًا، فَلَيَتَبَوَّأْ مَقْعَدَهُ مِنَ النَّارِ)، رواه البخاري عن عبد الله بن عمرو؛ ولهذا كان عبد الله بن عمرو قد أصاب يوم اليرموك زاملتين من كتب أهل الكتاب فكان يحدث منها بما فهمه من هذا الحديث من الإذن في ذلك، ولكن هذه الأحاديث الإسرائيلية تذكر للاستشهاد لا للاعتقاد، فإنها على ثلاثة أقسام:

أحدها: ما علمنا صحته مما بأيدينا مما يشهد له بالصدق فذاك صحيح.

والثاني: ما علمنا كذبه بما عندنا مما يخالفه.

والثالث: ما هو مسكون عنه لا من هذا القبيل ولا من هذا القبيل، فلا نؤمن به ولا نكتبه وتجوز حكايته لما تقدم "انتهى من "مجموع الفتاوى" (13/366).

فالخلاصة:

أنه لم يثبت بإسناد صحيح مرفوع إلى النبي صلى الله عليه وسلم، أن إبراهيم عليه السلام كان يزور هاجر كل يوم أو شهر على البراق، وأقوى ما ورد في هذا خبر أبي هريرة، وفيه: أن إبراهيم كان يزور اسماعيل عليهما السلام على البراق، ويحتمل جداً أن يكون مما سمعه من أخبار أهل الكتاب.

والله أعلم.